الاسلاموفوبيا وصناعة الخوف

.....

د .وميض فارس صعب

جامعة تكريت –كلية العلوم الاسلامية

قسم العقيدة والفكر

المقدمة :

يجدر بنا في بداية هذا البحث التعرف على مصطلح "الاسلاموفوبيا" (Islamophobia) وهو مصطلح حديث نسبياً لوحظ استخدامه عام ١٩٧٦ لكن استعماله بقي نادراً في الثمانينات وبداية التسعينات في القرن العشرين ويعني "الخوف من الاسلام ومن المسلمين" وتولد هذا الخوف من اعتقاد الغرب بأن المسلمين وخصوصاً المقيمين لديهم لا ينتمون حقيقياً للمجتمعات الغربية التي استوطنوها وحصلوا على جنسيتها إنما ولاؤهم الحقيقي وانتماءهم الفعلي ، بل واموالهم التي يجمعونها إنما هي لبلادهم الأصلية .

لهذا فأن الحكومات والشعوب الغربية تعيد حساباتها نحو هذه الجاليات باستمرار ، وتبعاً لما يحصل من تطورات على ساحات تلك الدول .

"كما حصل في بريطانيا تحديداً حيث تجلب ظاهرة عدم احترام البرطانيين لهذه الهوية ومظاهرها ، من خلال وسائل الاعلام البريطانية وفي أشكال ازدرائية من التعبير الشعبي البريطاني وباتت أمراً واقعاً" .

وقد تجلب بقوة بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر واستثمار ذلك من قبل الاعلام الغربي الذي لعب دوراً بارزاً في تشويه صورة الاسلام والمسلمين وقد ازدادت ظاهرة "الاسلاموفوبيا" في المجتمعات الغربية وامريكا وتسخيرها وفق متطلبات مصالح تلك الدول .

أسباب اختيار البحث .

أدرج في أدناه جملة أسباب اختيار البحث من أهمها ما يلي:

١- وسم الاسلام بالإرهاب والتعصب ، واعتبار المسلمين صنفاً واحداً بدون أية اختلافات بينهم في فهم الاسلام رغم تعدد قراءاته ، والافتقار إلى التسامح مع غير المسلمين واحتقار المرأة ، ورفض الديمقراطية، وعبادة إله غريب وانتقامي

٢- تركيز وسائل الإعلام الغربية والتي تدار أغلبها من اللوبي الصهيوني على تصوير الحركات الاسلامية وبخاصة حركات المقاومة على إنها حركات إرهابية لا تحترم الديمقراطية وحقوق الإنسان ، وعمل تلك الوسائل في بعض الأحيان على إعداد برامج مفبركة يتم فيها

تضخيم دعوات بعض المسلمين إلى محاربة أمريكا والكيان الصهيوني والغرب وإحراج تلك الدعوات عن سياقها الأصلي وتفريغ محتواها .

أهمية البحث .

١-إن أهمية البحث تكمن في استهداف الاسلام في شكله المجرد باعتباره دينا، يقوم على تعاليم ومبادئ من خلال الوحي الالهي والذي يحاولون تشويه صورته دون الاشارة إلى الجانب البشري الذي تحمل سلوكياته الخطأ والصواب، في حين أن المنهجية العلمية تقتضي ضرورة التفريق الدقيق بين الاسلام باعتباره ديناً بالمفهوم المجرد ورسالة سماوية مقدسة، وبين "سلوكيات" أي منتسب إليه .

٢-أهمية الموضوع تمكن في الخوف من الإسلام في الغرب ليس جديدا، فهو في الاصل نشأ بين أوساط العرب واليهود في جزيرة العرب وثمة من المؤشرات ما يؤكد استمرار حضوره على ساحة الأرض العربية والاسلامية حتى الآن مما يدعو إلى التنبؤ بصراع حاد بينه وبين الحضارات الأخرى .

الدراسات السابقة.

لم أجد دراسة متخصصة في هذا الموضوع لكن هناك شذرات هنا وهنا تتحدث عن الإسلاموفوبيا الخوف من الإسلام في بعض الكتب منها :

١-هل يشكل الإسلام خطراً على الغرب؟ عبدالله فهد النفيسي. بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر،(١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م). لم يتطرق الكاتب في كتابه عن أسباب ادعاء الغرب بتخوفهم من الإسلام ،ولكن في رسالتي هذه تم الوقوف على أهم الأسباب الواهية التي يدعي الغرب فيها تخوفه من الإسلام .

٢-الإسلام والغرب وحوار المستقبل. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،ط١،(١٤٢١هـ -٢٠٠١م) لم يعالج الكاتب في متن كتابه العلاقة بين الإسلام وبقية الأديان من حيث الحوار ،وفي بحثي هذا بينت أن سماحة الإسلام وقبوله الآخر هي من صميم عقيدته وتعاليمه السمحة بما يسهم في قبول الآخر .

إشكالية البحث.

أدناه بعض الإشكاليات التي بني البحث لمعالجتها والتي تضمنتها الرسالة.

١-هل إن مفهوم الاسلاموفوبيا حقيقة واقعة أم أنه نسيج خيال الغرب وأمريكا وتكريسه لتشويه صورة الاسلام والدول الاسلامية وإيجاد المبررات للسيطرة على ثرواتها ومقدراتها لتحقيق مآربه وتأمين أمن الكيان الصهيوني ؟.

٢-هل إن الاسلام كما يدعون لا ينسجم والمجتمعات الأخرى بسبب انغلاقه على نفسه وتحجر أفكاره ويعمل على ترسيخ هذه الأفكار داخل مجتمعاتهم ؟ أم أنه يتصف بالسماحة والعفو والمعاملة الحسنة والاخلاق الحميدة مع الآخرين ؟ . هذه التسؤلات سنحاول الاجابة عنها في هذا البحث إن شاء الله تعالى .

أهداف البحث :

كشف وبيان تركيز الاعلام الغربي على الخوف من الإسلام من خلال رصده ومتابعته لبعض المظاهر التي بدأت تنتشر في بعض المدن الغربية وأمريكا مثل، (بناء المساجد الكبيرة، ارتفاع صوت الآذان ، انتشار الحجاب بين الفتيات المسلمات، كثرة إنشاء الجمعيات والمدارس التي تعلم اللغة العربية والاسلام ، وأخيراً تدفق اللاجئين وبأعداد كبيرة إلى الدول الغربية)، وهذه المظاهر لم يتقبلها الغربيون وأوحت لبعضهم بأفكار شيطانية جعلتهم يستحضرون الانتصارات الكبرى التي حققها الاسلام في الماضي .

المبحث الأول : مفهوم الاسلاموفوبيا

المطلب الأول : التعريف بالاسلاموفوبيا

لفظ فوبيا ترجع الى المصطلح الطبي (فوب phobe) بمعنى الخوف ، أو (فوبنك phobic) بمعنى (رهوب)[١] .

كذلك فوبيا لفظ ترجع إلى كلمة "فوبوس" في أصولها اليونانية ، ومن ثم اللاتينية ، وتعني الخوف المستبد بكيان الإنسان مرادفاً لآفة الوسواس القهري أو (الرهاب) – على نحو ما يرد أحياناً في مصطلحات العلوم السيكولوجية المعتمدة في العربية[٢] .

والاسلاموفوبيا (إنجليزية:Islamophobia) أو رهاب الاسلام هو لفظ حديث نسبياً يشير إلى الإجحاف والتفرقة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين ، مثير للجدل يعرفه البعض على أنه تحيز ضد المسلمين أو شيطنة المسلمين[٣] .

ويعد مصطلح " الاسلاموفوبيا" من المصطلحات الحديثة التداول نسبياً في الفضاء المعرفي المعني بصورة خاصة بعلاقة الاسلام بالغرب .

وقد تم نحت المصطلح الذي استعير جزء منه من علم الاضطرابات النفسية للتعبير عن ظاهرة الرهاب أو الخوف المرضي من الاسلام .

ويستخدم علماء الاجتماع كـ(فيلهام هايتماير) مصطلح الاسلاموفوبيا جنبا إلى جنب مع ظواهر مثل العنصرية وكراهية الاجانب ومعادات السامية أو حتى "ظاهرة" كراهية مجموعات من الناس كما هو الحال أن تكون في موقف سلبي من عامة الشعب المسلم ومن جميع الاديان والرموز الدينية ، وممارسات الشعائر الاسلامية[٤] .

فحسب تعريف البرطاني (رونيميد تروست Runnymede trust) ، هو موقف إسلاموفوبي في مجموعة متنوعة من الآراء التي يعرب عنها بقوله :

الاسلام هو كتلة وحدانية معزولة ، جامدة وغير مستجيبة للتغير .

الاسلام هو مميز وغريب ، وليس لديه قيم وأهداف مشتركة مع الثقافات الأخرى لا يتأثر بها ولا يؤثر فيها .

الاسلام هو أدنى من الغرب، وحشي، غير عقلاني ، بدائي ومتحيز ضد النساء.

الاسلام دين ينسم بالعنف والعدوانية ، تهددي ، يدعم الارهاب وفعال في حرب الثقافات .

الاسلام هو الايديولوجية السياسية ، تستعمل لأهداف سياسية أو عسكرية[٥] .

مخاوف المريض بالرهاب لا تستند إلى تهديد جدي وفعلي في أغلب الحالات كأن يخاف المرء من قطة صغيرة أليفة ، أو من مكان مرتفع لا مجال لسقوطه منه، أو من وجوده في قاعة مكتظة بأشخاص ودودين لا يمكن أن يشكلوا خطراً عليه ، ... الخ .

وهذا يعني أن المرض يعبر في حقيقة عن اضطراب نفسي وادراكي ، لعل بالإمكان عزوه إلى أسباب متعددة ،ربما كان من أبرزها معايشة خبرات مؤلمة تتعلق بموضوع الرهاب ، وبخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة ،حيث تتسرب تلك الخبرات غير السارة إلى ما يعرف باللاوعي عند الإنسان ،ليقوم عند مواجهته لموضوع خوفه ، وبصورة غير إرادية يصعب السيطرة عليها ، باستحضار مظاهر الاضطراب التي عايشها عند التعرض لتلك الخبرات للمرة الأولى ، وبشكل قد يكون أكثر تضخماً وحدة[٦] .

المطلب الثاني:الخوف مفهوم سوسيولوجي

يشير مصطلح ثقافة الخوف ،في الطروحات السوسيولوجية ،إلى تلك الحالة من مشاعر الخوف المهيمنة على الخطاب الثقافي في المجتمعات المعاصرة ، حيث يستبطن الفرد في هذه المجتمعات تلك الحالة عبر عملية تمثل واستدماج جماعي لمصدر مشترك للخوف ، يسعى النظام الساسي إلى تنميطه ،وتعميمه ،وتسويغه، وتحديد أشكال تجلياته[٧] .

ومن هذا المنطق يشكل الخوف "حالة عامة" تهيمن على شبكة علاقات الأفراد الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة ، وتسيطر على مجريات حياتهم اليومية فيها .

وتتباين طروحات الدارسين في تحديد أسباب أنتشار هذا النوع من الثقافة في المجتمعات المعاصرة ،والجهة / الجهات التي تقف وراء تصنيعها وإنتاجها ، وكيفية هيمنتها على شبكة العلاقات الاجتماعية ،وآليات تلك الهيمنة ورغم هذا التباين ، إلا أنهم متفقون ، إلى حد بعيد، على أن الخوف غدا حالة عامة تسيطر على شبكة العلاقات الاجتماعية ، ومندكة في النسيج الثقافي .

ويلحظ المتابع للأدبيات المتعلقة بثقافة الخوف وجود اتجاهين بارزين في تفسير أسباب ظهور هذه الثقافة في المجتمعات المعاصرة ،وبخاصة الغربية، إذ يرى أصحاب الاتجاه الأول ، الذي يتزعمه عالم الاجتماع (فرانك فيوردي) (Furedi) أن الخوف حالة مشاعرية طبيعية لا يقتصر وجودها على المجتمعات المعاصرة بل هي حالة رافقت الإنسان على مر العصور في جميع المجتمعات ،ولا يستثنى من ذلك مجتمع دون آخر ، ومن هذا المنطلق لا يشكل الخوف حالة جديدة وطارئة على هذه المجتمعات، بل هو حالة تظهر وتستجد بشكل تلقائي عفوي (Spontaneous) كلما استدعت الضرورة ذلك .

ونجد هذا التصور للخوف واضحاً في عمليه المعروفين: "ثقافة الخوف" (١٩٩٧م)[٧]. و"سياسة الخوف" (٢٠٠٥م)[٨] . حيث نراه يجادل فيها بأن الاحساس بالخوف ظاهرة موجودة في المجتمع بشكل غير متعمد أو مقصود ، ولكنها ظهرت بشكل لافت للنظر في المجتمعات المعاصرة بسبب ما أسماه "فشل الخيال التأريخي"[٩] (Failure of historical imagination) ذلك الفشل الذي هو ،برأيه عرض من أعراض استنزاف أنظمة القرن العشرين للمعاني السياسية .

ومع أن المؤسسات الإعلامية والسياسيين في المجتمعات الغربية قد تستغل هذا الخوف وتضخمه لأسباب خاصة ، كما يقول إلا أنها غير مسؤولة عن انتاجه وتصنيعه فهو موجود دائما وفي كل مكان.

وعلى الرغم من وجاهة رأي (فيوردي) في تفسير أسباب ظهور ثقافة الخوف وانتشارها في المجتمعات المعاصرة، وسلامة الأدلة التي يسوقها لدعم رأيه ، إلا أن هناك وجهة نظر أخرى في هذا الموضوع تخالف وجهة نظره، لها من وجاهة التحليل وقوة الأسانيد التي تسوقها لتأكيد ما تذهب إليه ، ما يجعلها تحظى بقبول عدد غير قليل من الباحثين والمهتمين بتحليل ثقافة الخوف وأسباب انتشارها . ويتزعم هذا الاتجاه عدد غير قليل من علماء الاجتماع والمفكرين والعاملين بالحقل الثقافي ،وفي مقدمتهم عالم الاجتماع (باريجلاسنر)[١٠] (Glassner) وعالم اللغة (نعوم تشومسكي)[١١] (Chomsky) .

إذ يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الخوف ،بالشكل الذي هو عليه في المجتمعات الغربية، وبالكثافة التي يهيمن فيها على الخطاب الشعبي والرسمي في هذه المجتمعات ، يتجاوز الحد

الطبيعي للخوف المرافق للإنسان الذي يتحدث عنه فيوردي إنه خوف ، برأيهم يتعدى الحيز الخاص للفرد إلى الحيز العام ليشكل ، برأيهم ظاهرة ثقافية جديدة ، ومن نوع خاص في المجتمعات المعاصرة .

وتعمل مؤسسات عديدة وأنظمة سياسية مختلفة على تصنيع ثقافة الخوف ونشرها بطريقة مقصودة من أجل تحقيق أهداف خاصة ومصالح ذاتية . فمثل هذا التصنيع والانتاج ، هو برأيهم ، سياسة من نوع خاص اطلقوا عليها سياسة "المتاجرة بالخوف والذعر" (Fear mongering)[١٢] .

إذ يتحول الخوف ،في هذا النوع من السياسة إلى سلعة تباع وتشتري كباقي السلع ، تدر على مصنعيها أموالاً طائلة ، قد لا تدره عليهم السلع الأخرى .

وأما فيما يتعلق بأسباب إنتاج ثقافة الخوف ودوافعها والترويج لها في المجتمع فهناك عدد غير قليل منها يقف وراء ذلك ، لعل أهمها ذلك الدافع المرتبط برغبة النظام السياسي إحكام سيطرته الاجتماعية (Social control) على الناس[١٣] إذ يلجأ هذا النظام إلى ترويع الناس ، ودس الخوف في قلوبهم ونفوسهم من أجل إيقائهم في حالة دائمة من عدم الثقة والتخوف من كل ما يحيط بهم من أشياء وأشخاص وهم في هذا الوضع لا يجدون فرصة أمامهم للتخلص من هذه الحالة سوى تبنيهم الحلول التي يقدمها لهم هذا النظام في تصديه للخوف وقبولهم الطرق التي يراها ملائمة ومناسبة لمحاربته أو القضاء عليه .

وفي هذا الصدد يقول الباحث فؤاد إبراهيم : فالقابضون على مصادر السلطة ، سواء كانت اجتماعية ، أو فكرية ، أو دينية أو سياسية مفتونون بخنوع الاتباع حد الأسر ، فالتلذذ بالسيطرة يغري أولئك بإبقاء سحرهم المطعم بالفزع على أولئك الذين وقعوا في الأسر ، ولا يمكن لغير ثقافة الخوف أن تحول دون بقاء الأسرى في أقفاصهم .

إن هذه الثقافة يراد منها أن تكون ميراثاً ينقل من جيل لأخر ، فلا تنعقد رابطة بين اثنين إلا كان الخوف ثالثهما ، فثقافة الخوف تسوق الجميع نحو الأسر الاجتماعي لمركز القوة المتحكمة لتملي عليهم طريقة في التفكير وقيماً للتبني[١٤] .

"وبالإضافة إلى دافع السيطرة والضبط الاجتماعي ، هناك دافع آخر يمكن وراء سياسة النظام السياسي تخويف الناس في المجتمع ، وهو حرف انتباههم (Misdirection)

وتحويله عن القضايا الأساسية والمشكلات الجوهرية التي يعانون منها (كمشكلات الجريمة، والبطالة ، والفقر ، وتلوث البيئة ، والأمن الاجتماعي، وتوزيع الثروة، والعدالة الاجتماعية ، والتمييز العنصري) إلى قضايا هامشية وموضوعات جانبية وإلهائهم بها"[١٥] .

"إن إنتاج الخوف لهذين السببين بهذه الطريقة ، إنما يعكس في الحقيقة عجز النظام السياسي عن مواجهة مشكلات المجتمع الجوهرية ، وتقديم الحلول المناسبة والملائمة لها وفق برنامجه السياسي" .

فبدلاً من تصديه لهذه المشكلات ، والبحث عن طرق فاعلة في حلها أو التخفيف منها ، نجده يقوم بعملية تشتيت انتباه الناس عنها ، وأبعادهم عن التفكير فيها .

فهناك تراجع واضح ، على سبيل المثال ، وبخاصة في المجتمعات العربية ،كما يرى الباحث فؤاد إبراهيم ، في مطالب الناس الاجتماعية ، كمطلب العدالة الاجتماعية ، وتوزيع الثروة وحقوق الإنسان والديمقراطية ، وحقوق المرأة أمام مطلب الأمن الاجتماعي الذي يعد النظام السياسي "مطلب الجميع" الرئيس الذي يجب أن يتصدر المطالب الأخرى جميعها !

إن تحويل خوف الناس الاجتماعي المتعدد الوجوه والمتنوع الأشكال إلى مجرد خوف أمني فحسب ، هو في الحقيقة أقوى ما يدلل على قدرة النظام السياسي على التلاعب بالخوف واستثماره لصالحه ،وهو في الوقت نفسه أقوى تعبير عن قدرة هذا النظام ومهارته في تغطية مطالب الناس الاجتماعية الجوهرية ، وتحويلها إلى مجرد مخاوف أمنية .

تأتي المؤسسة الاعلامية في مقدمة هذه المؤسسات دونما منازع ،حيث تقوم هذه المؤسسة بتصنيع الخوف على عدة صعد ، وفي أكثر من مجال ، وأكثر من طريقة أو أسلوب ، بحيث يتحول إلى مادة أو سلعة (commodity) استهلاكية تباع وتشترى كباقي السلع ،مع الفارق الكبير في الربح المادي الذي تجنيه المؤسسة من هذه الصناعة[١٦] .

وما استثمار أصحاب رؤوس الأموال الضخمة في المجتمعات الغربية في قطاع صناعة أخبار الخوف ،وأفلام الرعب والعنف والجريمة ،والمسلسلات البوليسية التي تعود عليهم بمليارات الدولارات سوى أدلة واضحة على ذلك .

إن إنتاج الخوف بهذه الطريقة ولتلك الأسباب والدوافع إنما تجعل من المؤسسة الإعلامية أداة لتضليل الناس ، وتزييف وعيهم ومعرفتهم بواقعهم الاجتماعي ، ذلك الواقع الذي يعتمد

الأفراد فيه على هذه المؤسسة اعتمادا شبه كلي في معرفتهم به ، واطلاعهم على مجرياته وتفاصيله .

ويعد هذا الدور التضليلي في تشكيل وعي الناس من أخطر الادوار التي تمارسه المؤسسة الاعلامية وتضطلع به في المجتمعات المعاصرة .

في هذا الصدد يقول المفكر (هربرت شيللر) : يقوم مديرو أجهزة الأعلام في أمريكا بوضع أسس عملية تداول "الصور والمعلومات" ويشرفون على معالجتها ، وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها ، تلك الصور والمعلومات التي تحدد معتقداتنا ومواقفنا ، بل وتحدد سلوكنا في النهاية .

وعندما يعمد مديرو أجهزة الإعلام إلى طرح أفكار وتوجهات لا تتطابق مع حقائق الوجود الاجتماعي ، فإنهم يتحولون إلى سائسي عقول.

ذلك أن الأفكار التي تنحو عن عمد إلى استحداث معنى زائف ، وإلى إنتاج وعي لا يستطيع أن يستوعب بإرادته الشروط الفعلية للحياة القائمة أو أن يرفضها ، سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي ، ليست في الواقع سوى أفكار مموهة أو مضللة ، إن تضليل عقول البشر على حد قول (باولو فرير) ، أداة للقهر .

إنه يمثل إحدى الأدوات التي تسعى النخبة ، من خلالها ، إلى تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة .

المبحث الثاني : تأريخ نشأة الاسلاموفوبيا

المطلب الأول :ظهور ظاهرة الاسلاموفوبيا

ان ظاهرة " الاسلاموفوبيا" ولدت بظهور الدين الاسلامي وقد تصاعدت حدتها في وقتنا الحاضر لدى الدول الغربية وأمريكا ، وقد لعب اعلام تلك الدول على ترسيخ عقدة الخوف من الاسلام وتنمية شعور الحقد والكراهية ضد كل ما هو مسلم مستغلين بذلك احداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م وما تلتها من احداث مماثلة في الدول الاوربية .

وربما كان من الممكن القول إن تلك الظاهرة تضرب بجذورها عميقاً في تأريخ قديم حافل بمسلسل طويل من العلاقات المضطربة بين الغرب والاسلام ، أستقر فيه هذا الأخير في الذهنية الغربية بوصفه تعبيراً عن خطر داهم محدق يتهدد كل ما هو غربي ، ربما انطلاقاً من الاقتران المتكرر الذي يمكن ملاحظته في مسيرة التأريخ ، الذي يوحي وكان هناك نوعاً من العلاقة الحتمية بين صعود نجم الحضارة الاسلامية وانحدار نظيرتها الغربية !

هذا ، ولا تعد تلك الظاهرة حكراً على مجال العلاقات بين الإسلام والغرب كما قد يتبادر للذهن ، بل إنها تمتد لتطال رقعة العالم الاسلامي نفسه أيضاً[١٧] .

وانطلاقاً من الزعم بأن الفهم الجدي والعميق لأي ظاهرة من الظواهر هو الخطوة الأولى الضرورية للتمكن من علاج ما يرتبط بها وينجم عنها من مشكلات يأتي إجراء هذه الدراسة ، ذات الطابع التحليلي ، في محاولة لتناول تلك الظاهرة بالفحص والتشريح ، بما يتضمن بيان أسبابها ، وعوارضها المختلفة المتصلة بالعلاقات بين الغرب والعالم الاسلامي أضافة الى التوقف عند مسألة تفشي تلك الظاهرة الى الوطن العربي ، وتنامي مخاوف بعض الاطراف المنتمية الى المجتمع العربي من تصاعد المد الاسلامي ، وصولاً إلى اقتراح بعض المقاربات التي قد تسهم في معالجة تلك الظاهرة المقلقة ، التي تجعل من العالم الاسلامي وأهلية عرضه لمسلسل مستمر من إساءة الفهم والإدراج ضمن صور نمطية سلبية شائهة ، مع ما يترتب عن ذلك من مخاطر وتحديات جسمية ، تعصف بإمكانات تبلور مفاهيم التسامح والتعايش السلمي والاحترام المتبادل ، ليس على مستوى العلاقات بين العالم الاسلامي ودول الغرب فحسب ، وإنما على مستوى العلاقات داخل المجال الإسلامي أيضاً[١٧] .

والاسلاموفوبيا ، انتشر سريعاً بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ حيث ساد شعور في الغرب مبتناه كراهية العرب والمسلمين بصفتهم الحامل الفكري والسلوكي للإرهاب ونتائجه التدميرية التي باتت تهدد الحضارة الغربية في عقر دارها الامر الذي انتج حمولة سلبية تتغذى من تأريخ الصراع الصليبي / الاسلامي المشبع بايديولوجيا الخوف من الاخر المتآمر والمتوحش والمنجب لفيروس الكوارث والنكبات والخراب..

الاسلاموفوبيا إذاً هو " مفهوم يماهي بين الاسلام – والمسلمين – والارهاب في عملية ادلجة تضليلة تسوغ التجريم الجماعي ، وتنسب إلى الجماعة والفكر ما يأتيه الفرد كسلوك" .. في تذكير واضح بالأساطير والرؤى والايديولوجيات الاحادية والشمولية التي تعتاش من أقصاء الاخر وتغييبه[١٨] .

لقد شكل العامل الايديولوجي ، ولا زال عاملاً أساسياً إن لم يكن في نشوء المفهوم فبصورة مباشرة في أسباب انتشاره ظاهرة فقد وجد اليمين المتطرف في أمريكا – المأخوذ بأساطير التوراة والتلمود – ضالته في هذا ، يستغلها استغلال المهووس بالفكر اللاهوتي وميثولوجياه .. ظناً منه أن ما يفعله في الشرق العربي والاسلامي ، إنما هو تنفيذ لأمر الرب .. ولا شك أن قلق الغرب ازاء الصحوة الاسلامية العارمة التي تجتاح العالم الإسلامي ، وخشية تهديدها قيمة المنهارة واقعاً بفعل حيرة اجتماعية وروحية باتت لا تخفي ، حتى على الباحثين والمراقبين الغربيين أنفسهم يشكل عاملاً أساسياً في نشأة " الاسلاموفوبيا" مفهوما وانتشارها ظاهرة ، كما أن انهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١م ، بما شكله من إعلان عن الفوز الساحق لمعسكر الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها ، جعل الغرب يبحث عن بديل جديد يعاديه ، وقد تواترت التصريحات الغربية عن اختيار الاسلام كعدو جديد بديل عن الخطر الشيوعي الذي طالما حشدوا طاقاتهم لمواجهته[١٩] ، كما أن بعض الكيانات العسكرية – بما يخصص لها من اعتمادات مالية فلكية – لن تجد مبرراً لوجودها إلا في وجود قوة معادية ومن هذه الكيانات حلف شمال الأطلسي (ناتو) وكذلك الجيش الأمريكي وترسانته العملاقة التي تستقطع مئات المليارات من الدولارات كل عام من الخزانة الأمريكية ، هذا في جانب الغرب لكننا نتحمل جانباً من أسباب نشوء المفهوم وانتشار الظاهرة إذ كيف يمكن الحديث قلق وخوف في جانب لا تكون له أسبابه في الجانب الأخر المخشي منه

فالتباين الرهيب والتفاوت الواضح في القدرات الاقتصادية بين الدول الأوربية والغربية وبين دول العالم الإسلامي بشكل عام عامل يثير رعب الغرب المسيحي إذ يخشى على مقدراته من فقر العالم الإسلامي (المتعمد) الذي يمتلك أهم أسس نهضة الغرب وتقدمه ، وهنا تأتي الأنظمة الديكتاتورية في العالم الإسلامي ، ذلك الأنظمة التي جعلت دول العالم الإسلامي في ذيل دول العالم من حيث تطبيق المبادئ الديمقراطية واحترام الحريات العامة ، ما يجعل هذه الدول وكامل مقدراتها ملك يمين الحاكم يوجهها كيف يشاء ، فإذا أراد السلام فهو السلام ، وإذا أراد الحرب تكن الحرب ، إذ إن المجموعات المعاونة له يتم اختيارها بعناية لتكون أدوات لتنفيذ رغباته ونزواته ، وهذا مبعث لخوف الغرب المتقدم بشكل عام من إمكانية تولي السلطة في هذا البلاد أحد الحكام الجانحين ، أو الراغبين في الزعامة ، فيعلن الحرب على جيرانه لأي سبب تافه بما يهدد السلام في العالم كله[٢٠] .

اضافة الى ذلك يشكل النمو السكاني في العالم الإسلامي ، هاجس أخر للغرب فقد بلغ عدد المسلمين في العالم ١.٥٧ مليار نسمة في عام ٢٠٠٩م. بما يقارب ربع سكان العالم ، وتفيد الدراسات المتكررة أن الإسلام هو الدين الذي أكبر نمو سكاني في العالم مقارنة بأي من الأديان أو التيارات العقائدية الكبرى ، وذلك بعد أن كان الإسلام يحتل المرتبة الأخيرة على العالم من حيث عدد الأتباع بين الديانات والعقائد الأخرى في عام ١٩٨٠م ، ولم يكن تأريخ العداء القديم بين الغرب والإسلام ، كذلك بعيداً عن (الاسلاموفوبيا)، مفهوماً وظاهرة ، فالغرب لا يستطيع أن ينسى تأريخه الدامي مع المسلمين بل إن معظم ساسته وصناع قراره يتبنون فكرة الصدام المرتقب مع العالم الإسلامي ، وكذلك لا عتب على المسلمين مشاعر التوجس والارتياب من أي تحرك أوربي تجاه العالم الإسلامي[٢١] .

"ولا يمكن ، كذلك ، إغفال ما للكميات الهائلة من الكنوز والثروات – لا سيما البترول – التي يمتلكها العالم الإسلامي ، والتي تعد من أهم مصادر الطاقة والمواد الخام التي تقوم عليها الطفرة الصناعية في العالم الغربي ، من دور ، فقد نظر الغرب إلى واقعة التهديد العربي بوقف تصدير النفط إلى الدول المؤيدة للكيان الصهيوني في حرب ١٩٧٣م ، كونه تهديداً استراتيجياً حقيقياً لمصالحهم ، ولم تبحث كثيراً وراء الأسباب الحقيقية والمشروعة التي دفعت العرب والمسلمين لاتخاذ هذا الموقف كمحاولة للدفاع عن أنفسهم وإذا ظل – وتزايد –

الاحتياج الغربي للموارد الإسلامية كعنصر أساسي لاستمرار النهضة الأوربية والغربية ، سيظل هاجس تأمين هذه الموارد واحتكارها وضمان تدفقها هاجساً ملحاً في عقل الشعوب الغربية[٢٢] .

وللخوف المرضي من الإسلام ، لم يعد مجرد خوف تلقائي لأسباب ما ، بل أصبح في هذه الاثناء يصنع صنعاً ، أي أصبح ناتج عملية تخويف ، ليستخدم أداة من أجل تحقيق أغراض محددة . وهنا تجد هذه الأداة من يركز عليها استغلالاً لها لتحقيق أغراضه ، فإن رصد ضعفاً ذاتياً في مفعول الظاهرة ، بذل الجهد بنفسه لزيادة مفعولها ، أي لمضاعفة حدة الجانب المرضي فيها ، وهو يزعم أنه يشكو منها ويريد مكافحتها .

وللأسف نجد هذا الأمر في أوربا اليوم من خلال ما يطلقونه من مصطلحات تسبب النفور والقلاقل بين الناس ، لا سيما مصطلح "الاسلاموفوبيا" الذي يعزف الإسلام على أنه دين إرهابي دموي ، فهو الخطر القادم – كما يزعم بعضهم!!

المطلب الثاني :نشوء ظاهرة الاسلاموفوبيا في الغرب

نشأة ظاهرة الخوف من الإسلام في المجتمعات الغربية يبرر بجملة من التفسيرات ، يمكن ثبتها من خلال العناصر الآتية :

١- استمرار اللاإكتراث بقضايا المسلمين في الغرب ، حيث يظل الاعتراف القانوني بالدين الإسلامي غير مفعل أو مغيبا تماماً ، كما أن مسلمي الدول الغربية يحرمون من الكثير من التسهيلات اللازمة ، كالمساح ببناء المساجد والمدارس وممارسة الشعائر الدينية وغير ذلك

٢- كما أن جهل حقيقة الإسلام يعتبر من أهم أسباب تصاعد ظاهرة الخوف من الإسلام فغالباً ما يربط بالإرهاب والتطرف ، في الوقت الذي تؤكد فيه الكثير من المؤسسات الغربية أن الإسلام دين التسامح والتضامن والتآخي ، لكن الإعلام الغربي يحيل دون نشر هذه المواقف الايجابية التي من شأنها أن تخدم الإسلام والمسلمين[٢٣] .

٣- ثم إن هناك بعض التيارات التي تساهم في زرع هاجس الإسلام – فوبي لدى المواطنين الغربيين ، عبر مختلف وسائط الإعلام التقليدية والرقمية ، مثل بعض التجمعات النسوية التي بأن الإسلام يستبعد المرأة ويظلمها ، وتيار الشذوذ الجنسي الذي يرى أنه مهدد بفتاوى الإسلام المحرمة لسلوك اللواط ، وقد تنامى في السنوات الأخيرة تيار المرتدين عن

الإسلام ، والذي يطلق عليه في الإعلام الغربي عامة والهولندي خاصة ، تسمية (EX-Moslims) .

٤- ثم لا ينبغي غض الطرف عن التمثيل الرديء للإسلام من قبل المسلمين الموجودين في الغرب ، حيث أن أغلبهم مسكون بهاجس جمع الثروة على حساب ما هو ديني ودعوي وتعليمي ، مما يوقعهم في نوع من الازدواجية في التعامل مع الغرب حيث يتهافتون على ما هو مادي ، ويحجمون على ما هو أخلاقي ، دون أن يبرروا سر هذا السلوك الحربائي ، الذي يجعل المواطنين الغربيين مرتابون ، ومع تقادم الأيام يتحول هذا الارتياب إلى نوع من الحذر والخوف مما هو إسلامي[٢٤] .

إن الخلاف القيمى والروحي بين ما يحمله الغرب في مجمله وما يقدمه الإسلامي (ديناً وحضارة) من قيم أكثر تحضراً وأكثر تركيباً وعمقاً ، لهو أحد الأسباب التأريخية لنشأة ظاهرة الاسلاموفوبيا ، والتي جوهرها عداء وخوف غربي من الإسلام ودوره وقيمة ، وهو عداء دفع هذا الغرب إلى العدوان علينا ، بل واحتلال بلادنا (العراق وأفغانستان نموذجاً) وتم دفعه مجدداً لركوب ثوراتنا وتوظيفها لمصلحته ، حيث يريد الآن إنشاء شرق أوسط أمريكي ولكن بقشرة إسلامية وهو ما يتحقق عملياً وبأيدي عربية للأسف ، تتصور أنها تحسن صنعاً ولكنها تخطئ خطأً استراتيجياً ليس في حق بلادها فقط بل في حق (الإسلام) الذي تحمله كمرجعية حاكمة أيضاً[٢٥] .

الخاتمة

أن كلمة إسلاموفوبيا المنقولة عن اللغات الاجنبية هكذا بلفظها اللاتيني مكتوباً بحروف عربية ، تنطوي على معنى أنها ظاهرة مرضية ، فهو خوف مرضي من الاسلام ، لا يوجد ما يسوغه منطقياً ، ولا يقتصر على حالات انفرادية ، بل يعم وينتشر ، فهو أشبه بالوباء ، مع فارقٍ أساسي أن الوباء ينتشر رغناً عن الإنسان الذي يسعى لمكافحته ، فأن لم يتراجع يضاعف الإنسان السوي جهوده ويبتكر المزيد من وسائل المكافحة .

أهم التوصيات

سعي أمريكا والغرب لتدمير الإسلام والعروبة ومنذ شروق شمس الإسلام من خلال الهجمات المغولية والصليبية والاوربية الحديثة والاحتلال المباشر كما حصل مؤخراً للعراق وافغانستان تحت ذرائع واهية لإذكاء الحرب الأهلية ونشر الفوضى الخلافة لأضعافها والعمل على تحقيق الغايات والاهداف التي تصب بمصلحة تلك الدول من خلال إعادة رسم خريطة تتسم بالفوضى والتفتيت والتقسيم على غرار ما اعتمدته من سياسة في العراق تحت شعار نشر الديمقراطية في العالم وهذا أحد أوجه حرب الغرب ضد الإسلام والعروبة وكذلك الحصول على مصادر الطاقة من خلال السيطرة على منابع النفط وتأمين أمن الكيان الصهيوني وجعل العرب والمسلمين في دائرة الاتهام بالإرهاب ، وتقسيم الدول العربية والإسلامية إلى دويلات هزيلة متناحرة على أسس طائفية وعرقية واثنيه كما حصل في السودان تحت مسمى الشرق الأوسط الكبير ليكون الكيان الصهيوني جزءاً من هذا المشروع لطمس هوية ومعالم دولة فلسطين .

الهوامش:

١- http://www.altibbi.com.

٢- عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني . أوربا في مواجهة الإسلام : الوسائل والأهداف . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٩٣م ، ص١٢.

٣- طاش ، عبدالقادر . صورة الإسلام في الإعلام الغربي . القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، ص٢٧ .

٤- ندوة : صورة الإسلامي السياسي في الغرب . عمان : تنظيم الجامعة الأردنية بالتنسيق مع مركز دراسات الشرق الأوسط ، عقدت في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٨م ، ص١٢٠ .

٥- مهرجان بريطانيا والإسلام. لندن: تنظيم مؤسسة فيزيتينغ آرتس ، Visiting Arts ، في ٢شباط (فبراير) ١٩٩٩م ، ص١٢ .

٦- الحيدري ، إبراهيم .صورة الشرق في عيون الغرب :دراسة للأطماع الاجنبية في العالم العربي . بيروت : دار الساقي ، ١٩٩٦م ص١٢٠ .

٧- Wikipedia: The Free Encyclopedia. Retrieved from (http: // encyclopedia. Wikipedia. Org/wiki/ culture - of – fear >٢٤ March ٢٠٠٦

٨- Furedi, F. Culture of Fear: Risk Taking and Morality of Law Expectation. Amazon; U.K, ١٩٩٧

٩- Furedi, F. Politics of Fear: Beyond Left and Right. Amazon: U. K,٢٠٠٥

١٠- الخيال التأريخي : يظهر هنا مدى تأثر فيوردي بعالم الاجتماع ميللز (Mills) الذي كان أول من أستخدم مصطلح الخيال في علم الاجتماع ليشير إلى تطبيق الفكر الخيالي في طرح التساؤلات السوسيولوجية ومحاولة الإجابة عليها . ويتضمن هذا التقليد في الحقيقة عملية الارتقاء بتفكير الأفراد فوق مستوى الأمور العادية في الحياة اليومية . للمزيد حول الخيال التأريخي ، وأهمية لعالم الاجتماع ، أنظر:

١١- Mills, C.W. The Sociological lmagination. New York: Oxford University Press. ١٩٥٩

١٢- Giddens, A. Sociology A Brief but A critical lntroduction. Second Ed. London: Macmillan Press, LTD, ١٩٨٩

١٣- Afraid Aro Glassner, B. The Culture of Fear: Why Americans of the Rong Things. New York: Basic Books, ١٩٩٩

١٤- Chomsky , N, and Edward S. Heman. Manufacturing Consent: The Political Economy of the Mass Media. New York; Pantheon Books, ١٩٨٨

١٥- وأنظر نعوم تشومسكي أيضاً : نعوم تشومسكي . طموحات إميريالية . ترجمة عمر الأيوبي بيروت : دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٦م .

١٦- فؤاد إبراهيم . صناعة البيئة الثقافية للخوف . ورقة عمل قدمت في مؤتمر ثقافة الخوف ، عمان ، الأردن : تنظيم جامعة فيلادلفيا ، ٢٠٠٦م ، ص٩ .

١٧- الطاهر لبيب . من الخوف إلى التخويف . مساهمة في تعريف ثقافة الخوف ، ورقة عمل قدمت في مؤتمر ثقافة الخوف تنظيم جامعة فيلادلفيا ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٦م ، ص٣ .

١٨- أنطوني غيديز . علم الاجتماع . ترجمة فايز الصياغ . بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٥م ، ص٧١٧ .

١٩- فؤاد إبراهيم . صناعة البيئة الثقافية للخوف . ورقة عمل قدمت في مؤتمر ثقافة الخوف ، عمان ، الأردن : تنظيم جامعة فيلادلفيا ، ٢٠٠٦م ، ص١٧ .

٢٠- العوضي ، هشام . موقف الغرب من الاسلاميين من خلال الاعلام والاكاديميين وصناعة القرار . بيروت : دار أبن حزم ، ط١ . ١٩٩٧م ، ص٩١ .

٢١- كسبه ، مصطفى دسوقي . المسلمون في أوربا ، التأريخ والاقليات . بيروت : مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٩٧م ، ص٥٧ .

٢٢- http: //alaaesa. Hooxs. Com/t١٥٦٥- topic

٢٣- هاليداي ، فرد . الإسلام والغرب : خرافة المواجهة : الدين والسياسة في الشرق الأوسط . بيروت : دار الساقي ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص١٠٧ .

٢٤- أوراق مؤتمر أوربا والإسلام . المفرق (الأردن) : منشورات جامعة آل البيت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص٣٧١ .

٢٥- العريضي ، يحيى . الإسلام والغرب ، معطيات جديدة : حوارات حول وضع الإسلام في العالم الغربي . دمشق : دار الرشيد ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص١١١.

٢٦- زكي الميلاد وتركي علي الربيعو . الإسلام والغرب : الحاضر والمستقبل . دمشق : دار الفكر ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص٢٢ .

٢٧- أوريد ، حسن . الإسلام والغرب والعولمة . الرباط : منشورات جريدة الزمن ، ط١ ، ١٩٩٩م ، ص٣٣ .

٢٨- ندوة : المسلمون في أوروبا القاهرة : تنظيم قسم التأريخ كلية الآداب بجامعة القاهرة ، عقدت بين ٣/٥ آذار (مارس) ١٩٩١م . ص٦٣ .

٢٩- ملتقى : المسلمون في الغرب على مشارف قرن جديد : تحديات ورؤى مستقبلية ، الملتقى الإسلامي التاسع ، فريبورغ (سويسرا) : تنظيم رابطة مسلمي سويسرا ، عقد بين ١٠/١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٩م ،ص١٢-١٣ .

المصادر والمراجع

١- http; //www. Altibbi. Com

٢- عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني . أوربا في مواجهة الاسلام : الوسائل والاهداف . مكتبة وهبة .

٣- طاش ، عبدالقادر . صورة الاسلام في الاعلام الغربي . القاهرة : الزهراء للإعلام العربي.

٤- ندوة : صورة الإسلامي السياسي في الغرب . عمان : تنظيم الجامعة الأردنية بالتنسيق مع مركز دراسات الشرق الأوسط ، عقدت في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٨م .

٥- مهرجان بريطانيا والاسلام . لندن : تنظيم مؤسسة فيزيتينغ آرتس Visiting Arts ، في ٢ شباط (فبراير) ١٩٩٩م .

٦- الحيدري ، إبراهيم . صورة الشرق في عيون الغرب : دراسة للأطماع الأجنبية في العالم العربي . بيروت : دار الساقي ، ١٩٩٦م.

٧- Wikipedia: The Free Encyclopedia. Retrieved from http: // encyclopedia. Wikipedia. Org/wiki/culture – of – fear ٢٤ March ٢٠٠٦

٨- Furedi, F. Culture of Fear: Risk Taking and Morality of Law Expectation. Amazon: U.K, ١٩٩٧

٩- Furedi, F. Politics of Fear; Beyond Left and Right. Amazon: U.K. ٢٠٠٥

١٠- Giddens, A. Sociology, A Brief but A critical lntroduction. Second Ed. London; Macmillan Press, LTD, ١٩٨٩

١١- Glassner, B. The Culture of Fear: Why Americans Afraid of the Rong Things. New York; Basic Books, Are. ١٩٩٩

١٢- Chomsky, N, and Edward S. Herman. Manufacturing Consent: The Political Economy of the Mass Media. New York; Pantheon Books, ١٩٨٨

١٣- فؤاد إبراهيم . صناعة البيئة الثقافية للخوف . ورقة عمل قدمت في مؤتمر ثقافة الخوف ، عمان ، الأردن : تنظيم جامعة فيلادلفيا ، ٢٠٠٦م.

١٤- الطاهر لبيب . من الخوف إلى التخويف . مساهمة في تعريف ثقافة الخوف ، ورقة عمل قدمت في مؤتمر ثقافة الخوف تنظيم جامعة فيلادلفيا ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٦م .

١٥- أنطوني غيذير . علم الاجتماع . ترجمة فايز الصياغ . بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٥م .

١٦- فؤاد إبراهيم . صناعة البيئة الثقافية للخوف . ورقة عمل قدمت في مؤتمر ثقافة الخوف ، عمان ، الأردن : تنظيم جامعة فيلادلفيا ، ٢٠٠٦م .

١٧- العوضي ، هشام . موقف الغرب من الاسلاميين من خلال الأعلام والاكاديميين وصناع القرار . بيروت : دار أبن حزم ، ط١ . ١٩٩٧م .

١٨- كسبه ، مصطفى دسوقي . المسلمين في أوربا ، التأريخ والاقليات . بيروت : مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٩٧م .

١٩- http: //alaaesa. Hooxs. Com – topic. ١٥٦٥

٢٠- هاليداي ، فرد . الإسلام والغرب : خرافة المواجهة : الدين والسياسة في الشرق الأوسط . بيروت : دار الساقي ، ط١ . ١٩٩٧م.

٢١- أوراق مؤتمر أوربا والإسلام . المفرق (الأردن) : منشورات جامعة آل البيت ، ط١ ، ١٩٩٨م.

٢٢- العريضي ، يحيى . الإسلام والغرب ، معطيات جديدة : حوارات حول وضع الإسلام في العالم الغربي . دمشق : دار الرشيد ، ط١ ، ١٩٩٨م .

٢٣- زكي الميلاد وتركي علي الربيعو . الإسلام والغرب : الحاضر والمستقبل . دمشق : دار الفكر ، ط١ ، ١٩٩٨م.

٢٤- أوريد حسن . الإسلام والغرب والعولمة . الرباط منشورات جريدة الزمن ، ط١ ، ١٩٩٩م .

٢٥- ندوة : المسلمون في أوربا القاهرة : تنظيم قسم التأريخ كلية الآداب بجامعة القاهرة ، عقدت بين ٣/٥ آذار (مارس) ١٩٩١م .

٢٦- ملتقى : المسلمون في الغرب على مشارف قرن جديد : تحديات ورؤى مستقبلية ، الملتقى الإسلامي التاسع ، فريبورغ (سويسرا) : تنظيم رابطة مسلمي سويسرا ، عقد بين ١٠/١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٩م .